تداولية الأفعال الكلامية في محاضرات الملتقى - الثالث عشر للفكر الإسلامي بتمنراست - دراسة لنماذج مختارة-

Verbal verbs in the lectures of the Thirteenth Forum of Islamic Thought in Tamanrasset - a study of selected models

الدكتورة: قياس لندة

قسم اللغة والأدب العربي- جامعة سوق أهراس(الجزائر)
l.guias@univ-soukahras.dz

تاريخ الإيداع: 2024/04/01	تاريخ القبول: 2024/12/14	تاريخ النشر: 2025/03/15

ملخص:

تنصب هذه الدراسة على محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، والذي انعقد في الفترة الممتدة بين 30 أغسطس و8 سبتمبر 1979 بتمنرست الجزائر، وقد تضمن برنامج هذا الملتقى قضايا دينية وفكرية وتاريخية وتربوية غاية في الأهمية على نحو " الطفل ينمو في عالم التحديات " وغيرها من المواضيع الجادة التي تتوفر على الكثير من السمات التداولية والمعاني السياقية والتي تجعل منها حقلا خصبا للمقاربة التداولية.

وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن الإشكال الآتي:" كيف يمكن استثمار مفهوم " **الفعل الكلامي**" في فك شفرات هذه المضامين وقراءتها ضمن سياقاتها **الحيوية التي انتجت فيها**.

الكلمات المفتاحية: المقاربة التداولية، نظرية الأفعال الكلامية، الفعل الكلامي، السياق، الفكر الإسلامي.

Abstract:

This study focuses on the lectures of the Thirteenth Forum of Islamic Thought, which took place between August 30 and September 8, 1979 in Tamanribest, Algeria. It has many deliberative features and contextual meanings, which make it a fertile field for the deliberative approach.

This study seeks to answer the following problem: "How to invest the concept of" speech act "to decipher these contents and read them in their vital contexts in which they were produced?.

key words*:* The deliberative approach, the theory of speech acts, the speech act, the context, Islamic thought.

1- مقدِّمة:

يعد الأفق التداولي فتحا جديدا في الدرس اللساني بما قدمه من آليات وإجراءات جديدة ومغايرة، يعتمد عليها القارئ في فك شفرات الخطاب وتأويله تأويلا مقبولا.

و" يعد الفيلسوف الأمريكي بول كرايس[1] عرّاب التداولية وتعتبر محاضراته William James Lectures[2] التي ألقاها في جامعة هارفد في 1967... نقطة الانطلاق للدراسة التداولية "[(3)] ويجمع الكثير من الدارسين على أن التداولية (pragmatics) بالإنجليزية و(pragmatique) بالفرنسية توجه لساني يسعى إلى دراسة الاستعمال الفعلي للغة في إطار سياق معين، وعلاقة اللغة بمستعمليها ومؤولها، و يهتم بالكشف عن مقاصد المتكلمين وأغراض الخطاب.

ويبنى التحليل التداولي على مبادئ إجرائية لعل أهمها نظرية الأفعال الكلامية Théorie des actes de parole التي عدّها الدارسون من أهم المباحث التداولية، و يذهب جون لانجشو أوستين J.L.Austin (مؤسس هذه النظرية) أنها "أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه "الخطابة" للقول الخطي، والدراسات البلاغية بإعادة منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة "[(4)].

ولقد ساد الاعتقاد لدى أوستين أن الجملة لم تعد الوحدة الأساسية للتخاطب والتواصل مثلما كان سائدا في الأنحاء السابقة، بل يكون التواصل عن طريق إنجاز أفعال لغوية[(5)].

ومنه عد الفعل اللغوي من منظور أوستين الوحدة الدنيا للتواصل " وفي إطار منظور براغماتي (خاص بنظرية الفعل الكلامي) لم يعد يظهر النص على أنه تتابع جملي مترابط نحويا، بل على أنه فعل لغوي (معقد) Sprachliche hindlung، يحاول المتكلم أو الكاتب به أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ "[(6)].

فاللغة من منظور أوستين تعد وسيلة للتفاعل والتخاطب والتأثير في الآخرين، فعندما نتكلم باللغة فإننا نقوم بفعل قد يكون قرارا أو وعدا أو حكما أو أمرا أو غير ذلك من الأفعال وهذا ما حذا بأوستن[7] إلى تقسيم الأفعال اللغوية حسب قوتها الإنجازية:* إلى أفعال الأحكام verdictives، أفعال التعهد commissives، أفعال السلوك behabitives، أفعال الإيضاح exprositives، وأفعال الممارسة exercitives، وبرغم ما بذله أوستين من جهود من أجل دكّ الأسس المنهجية لنظريته، إلا أنها لم تسلم من انتقادات الدارسين، ومن بينهم تلميذه الفيلسوف الأمريكي سورل searl الذي عمل على تطوير مفهومين لهذه النظرية هما: المقاصد والمواضعات[(8)]، وقد صنف سورل الأفعال الكلامية حسب قوتها الإنجازية إلى: الإخباريات، التوجيهات، الالتزاميات، التعبيريات، الإعلانيات.

وقد أجمع الدارسون على أن نظرية أفعال الكلام لم تصل مرحلة الاستواء والاكتمال إلا على يد سورل، وهذا ما دفعنا لاختيار تصنيفاته نموذجا لدراسة وتحليل بعض المحاضرات من أعمال الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي.

2- تحليل الأفعال الكلامية

ويقتضي تحليل الأفعال الكلامية في هذه العينات المختارة الإجابة عن أسئلة كالآتي:

- كيف يمكن استثمار مبادئ هذه النظرية في استكشاف جوهر الدلالات العميقة لهذه الخطابات وقراءتها ضمن سياقاتها الحيوية التي أنتجت فيها ؟

- إذا كان بالإمكان تحويل هذه النماذج المختارة إلى فعل مركزي واحد فما دلالة ذلك ؟

إن محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تقتضي منا فضّ النسيج اللغوي لهذه المضامين بغية الكشف عن الفعل الكلامي الشمولي أو المركزي والأفعال الكلامية الثانوية التي تتخفى وراء هذه المضامين الخطابية.

وسنبدأ بتحليل أول صنف منها:

2-1- **الإخباريات** (الإثباتيات) Assertives: والغرض من هذا الصنف من الأفعال هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر، وأفعال هذا الصنف تخضع لمعيار الصدق أو الكذب ومن نماذجها: الوصفات الطبية والتصنيفات والتفسيرات واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم Words to world وشرط الصدق فيها هو الإخلاص[9] ومن نماذج المحاضرات التي تندرج ضمن هذا الصنف نورد ما يلي:

–النموذج الأول والموسوم بـ" نماذج مما قدمه المغرب العربي للعلوم والحضارة الإنسانية " يقول الكاتب " ولكننا إذا ما مررنا إلى الفترة الثانية، فترة الخلق العلمي الطريف، لن نجد المغرب العربي في المؤخرة بل إنه قدّم للعلم العربي، والعلم عامة أعمالا جليلة، إلى اليوم تذكر فتشكر، أقتصر في ما يلي على ميدان الطب، ففيه كان لإسحاق بن عمران الإسرائيلي (وكان معاصرا للرازي) الفضل في إنشاء مدرسة الطب القيروانية ... وأبقى إسحاق بن عمران كتب عديدة نذكر من بينها كتاب " الأدوية المفردة "، وكتاب " الحمّيات " ويعتبر أجود ما كتب في الموضوع، وكتابه الجليل "كتاب في المالنخوليا "[10] وتوجد منه نسخة محفوظة فريدة في مكتبة ميونيخ ... .[11]

– احتلت الإخباريات في هذا النموذج مركز الصدارة لما تتضمنه من معنى التقرير الذي يهدف إلى وصف وقائع العالم الخارجي، ويصبح المتكلم من هذه الزاوية مسؤولا عن صحة أو عدم صحة ما ينقله، من أخبار وأحداث.

وبما أن هذا الصنف من الأفعال تكون فيها المطابقة من الكلمات إلى العالم، فإن المقام يتطلب ذلك لأن الكاتب حاول في هذا النموذج أن يسلط الضوء على ما قدمه المغرب العربي من

إسهامات جادة في مجال التطور العلمي، والذي يعمل على دفع عجلة التقدم والتحضر سريعا، ومن ثمة فقد حمل هذا النموذج حزمة من الأخبار والوقائع، غرضها الإنجازي هو تقرير حقائق علمية جسدتها جملا خبرية بسيطة في ظاهرها، عميقة في دلالاتها نمثلها من خلال المخطط الآتي:

- لن نجد المغرب العربي في المؤخرة.
- قدم للعلم العربي و للعلم عامة أعمالا جليلة.
- تذكر فتشكر.
- كان لإسحاق بن عمران الإسرائيلي فضلا في إنشاء مدرسة الطب القيروانية.
- أبقى إسحاق بن عمران كتبا عديدة.

نلاحظ أن الكاتب قد مهد لطرحه الخطابي بمقدمة عقلية كمسلَمة للوصول إلى النتيجة التي انطلق منها، فكانت الجملة المنطلق " لن نجد المغرب العربي في المؤخرة، فهذه الجملة الخبرية تحمل غرضا إنجازيا يتمثل في التقرير، وقد اشتملت على أداة النفي لن + الفعل المضارع " نجد "، ولأن النفي يتعلق بأداة نافية تدخل على الجملة الاسمية أو الفعلية < وتفيد عدم ثبوت المسند إلى المسند إليه >[12].

ويدرج سورل النفي ضمن صنف التقريريات (الإخباريات)[13] فالكاتب يقر من خلال هذا النفي أن المغرب العربي كان شأنه شأن المشرق العربي سباقا لحمل شعلة العلم والمعرفة، وهذا ما يؤكده الكاتب في موضع آخر بقوله: **"... وإذا ما استعرض العلم الغربي دارت الأعين شطر المشرق، ... ونسي الباحث أو تناسى ما كان للمغرب من أيادٍ في سبيل المعرفة و الرفع من شأنه بين البشر"**[14].

ويمكن أن نلخص مجمل الأفعال الكلامية الواردة في هذا النموذج كالآتي:

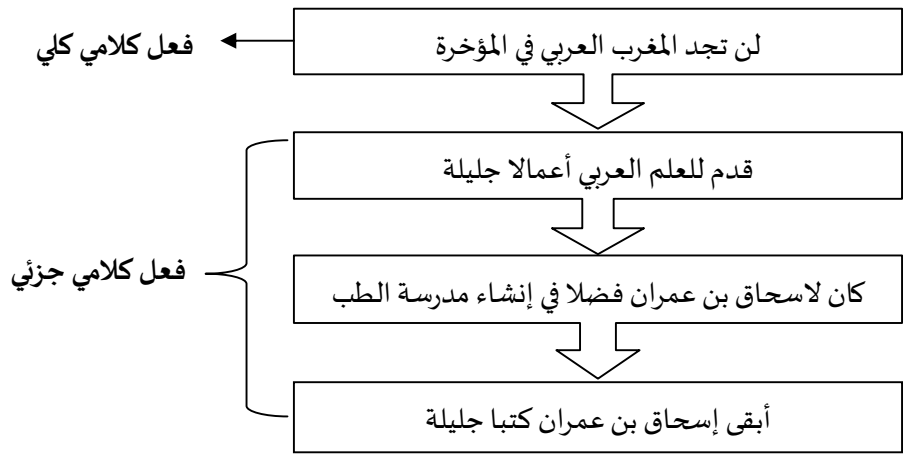

وما يلاحظ أن هذه الأفعال الكلامية الجزئية ما هي إلا تمطيط للفعل الكلامي الكلي، فقد تعاضدت هذه الأفعال الكلامية الجزئية مع الفعل الكلامي الكلي لتعبر قوتها الإنجازية عن المقاصد التداولية للكاتب، والمتمثلة أساسا في أن نهضة العالم العربي في ميدان العلوم والمعارف والتي لم تكن حكرا على المشرق العربي، ولم يكن وحده السباق لذلك، بل كان للمغرب العربي نصيب وحظ وافر في هذا المجال، وقد استشهد في مجال الطب بإسحاق بن عمران الإسرائيلي الذي كان له الفضل في إنشاء مدرسة الطب القيروانية، كما أشاد الكاتب في مواضع أخرى من دراسته هذه بعلماء وأطباء آخرين من المغرب العربي، نذكر على سبيل المثال: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار وهو من أهل القيروان، والذي ألف العديد من الكتب في مجال الطب نذكر منها كتاب " الاعتماد والأدوية المفردة "، وأبو العباس الحسيني التونسي المعروف بالشريف الصقلي صاحب كتاب " الأطباء " كل هؤلاء العلماء وغيرهم لم يؤلوا جهدا في سبيل خدمة البشرية قاطبة، فالغرض الإنجازي الذي جسّدته الأفعال الكلامية في هذا النموذج هو الإخبار والتقرير، والفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول هو تصحيح اعتقاد لدى العرب أن فضل المغرب العربي كفضل المشرق العربي في مجال تطوير العلوم، حتى لا تكون هناك مركزية مشرقية مهيمنة.

2-2- **التوجيهات** Dircttives: يرى سورل "أن كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به "[15] بمعنى حمل المخاطب على إنجاز فعل ما والأفعال المعبرة عنها هي: النهي، الأمر، الاستفهام، النصح والإرشاد، والاستعطاف وغيرها. وهي لا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب ومن المضامين التي تندرج ضمن هذا الصنف، المحاضرة التي تحمل عنوان: طبقة الفلاحين الأفارقة تعاني متاعب في جنوب الصحراء وشمالها[16].

يقول الكاتب " ... **ماذا عسى يقول الرسول لو أنه عاد إلينا ورأى بعينيه هذا التزايد المفرط والهائل للفوارق في العالم: سواء بين الأمم المتطورة وغيرها، أم داخل كل أمة، حيث نجد طبقة الفلاحين في العالم الثالث تتعرض أكثر فأكثر للاضطهاد والاستغلال والسيطرة والاحتقار من قبل الأقليات المحظوظة من سكان المدن ذوي السلطة في معظم هذه البلدان، ولاسيما من قبل البلدان المتطورة** "[17].

نلاحظ أن هذا النموذج يضم بين دفتيه حزمة من الأفعال الكلامية التي تندرج ضمن صنف التوجيهات وتتمثل في:

1- **الاستفهام**: في قوله "ماذا عسى يقول الرسول لو أنه عاد إلينا ورأى بعينة هذا التزايد المفرط والهائل للفوارق في العالم "يقتضي الاستفهام عموما الإعلام أو الاستخبار عن شيء مجهول أو غير معلوم، إلاّ أنه وباعتماد مبدأ التعاون عند غرايس يتضح لنا أن هذه "الإستراتيجية التوجيهية"[18] التي تتمثل في صيغة الاستفهام قد أنجزت في سياق محدد تخرج بمقتضاه إلى معنى إضافي مستلزم هو "التحذير" من خطر وجود الفوارق الاجتماعية بين الأمم المتطورة أو داخل الأمة الواحدة، وخاصة أن طبقة الفلاحين هم

الفئة الأكثر تضررا من جراء هذه الظاهرة في العالم الثالث، ولا يخفى على أحد أن الإسلام قد حذر من خطورة هذه الفوارق الاجتماعية وخطورة انعكاساتها على نفسية الفرد والمجتمع ككل، لذلك أمرنا الشرع الحكيم بتطبيق مبدأ العدل والمساواة في كل شيء وبالإضافة إلى الاستفهام نجد فعل **الترجي** "عسى" في قوله "ماذا عسى يقول الرسول لو أنه عاد إلينا ورأى بعينه هذا التزايد المفرط والهائل للفوارق في العالم"[19] وفعل الترجي كما هو معلوم يندرج ضمن التوجيهات وغرضه الإنجازي "التذكير" أي تذكير الناس بتعاليم الدين السمح التي تحث على الزكاة والصدقة ومساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين من أجل القضاء على كل الفوارق الاجتماعية داخل الأمة الواحدة يقول تعالى:﴿ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [سورة البقرة: 276] .

ويقول أيضا:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[سورة التوبة: 60] وهذه أوامر موجهة للمسلمين للتقليل من الفوارق الاجتماعية.

فقد حمل الفعل الكلامي "عسى" غرضا إنجازيا يتمثل في التذكير أي تذكير الناس بأن الشرع الحكيم يأبى مثل هذه الفوارق داخل المجتمع الواحد، والفعل الناتج عن القول هو حمل المتلقي على ضرورة التمسك بتعاليم الدين الحنيف ونشر روح العدل والمساواة حتى تعم المحبة والأخوة.

كما يتضمن هذا النموذج فعلا كلاميا تتضمن قوته الإنجازية معنى "**الاستعطاف**" في قوله " ... **وحيث نجد طبقة الفلاحين تتعرض أكثر فأكثر للاضطهاد والاستغلال والسيطرة** " والاستعطاف كما هو معلوم يندرج ضمن صنف التوجيهات، كما أن الاستعطاف باعتباره فعلا لغويا قد أدى غرضين تداولين في الوقت نفسه أما الغرض الأول: فهو غرض إنجازي مباشر يتمثل في " وصف معاناة فئة الفلاحين التي تتعرض دوما للاضطهاد والاستغلال والسيطرة في دول العالم الثالث، أما الغرض الثاني: فهو غرض إنجازي غير مباشر يتمثل في " لفت انتباه المخاطب أو تنبيهه لمشكلة عويصة قد تفتك بالمجتمعات وهي مشكلة اضطهاد الفئة المستضعفة من المجتمع وهي فئة الفلاحين ومن هنا نخلص إلى أن القوة الإنجازية "للاستعطاف" قد أدت غرضا تداوليا يتمثل في استعطاف القارئ واستمالته للتضامن مع الفئات المستضعفة داخل المجتمع وحمله على نبذ الفوارق الاجتماعية، والدعوة إلى تحقيق العدل والمساواة بين كل الطبقات، فالمطابقة كانت من العالم إلى الكلمات، أما عن الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول فهو متحقق، لأن الكاتب كان صادقا في مشاعره وأقواله فقد عبر بإخلاص عن مأساة تعاني منها البشرية عايش هو نفسه تفاصيل أحداثها الدرامية، فتأثر بها أيما تأثر.

2-3- **الالتزاميات** Commissives: يرى سورل أن الفعل الإلزامي هو أن يتعهد المتكلم للمستمع بإنجاز عمل ما في المستقبل وشرط الإخلاص فيه هو النية ويندرج تحت هذا الصنف المواعيد والنذور

والرهون والعقود والضمانات والتهديد[20] ويندرج تحت هذا الصنف المحاضرة التي تحمل عنوان "الطفل ينمو في عالم التحديات – استنباط برامج الأطفال".

يقول الكاتب: " .. **يجب علينا أن نستنبط برامج تربوية من شأنها أن تكون أطفالا مشبعين بروح إسلامية يجب أن لا نقف موقف أولئك الذين يقيمون الصلاة وينتظرون صدقة المساعدة الأجنبية، بل يجب أن نتجه خاضعين لله لإثراء البشرية عن طريق العلم والتكنولوجيا ... والتكنولوجيا التي لا تكون ثمرتها الدمار والخراب الذي عرفته هيروشيما ... بل الحب الكوني والرخاء البشري**"[21] ويضيف في موضع آخر "... **يجب علينا استنباط برنامج لإعادة بناء العالم ليصبح عالما خاليا من الانقسامات والنزاعات وسوء الظن، ويجب علينا إعداد الأطفال منذ مرحلة ما قبل المدرسة في مختلف مراحل التعليم بعد ذلك حتى يمكنهم مواجهة تحديات العصر بروح إسلامية حقيقية** "[22].

عبر الكاتب في هذا النموذج عن غرض إنجازي واحد هو "الوعد" أو الإلزام، وانطلاقا من هذا الرسم التخطيطي يتبين لنا أن هذا الخطاب ينطوي على الإلزاميات الآتية :

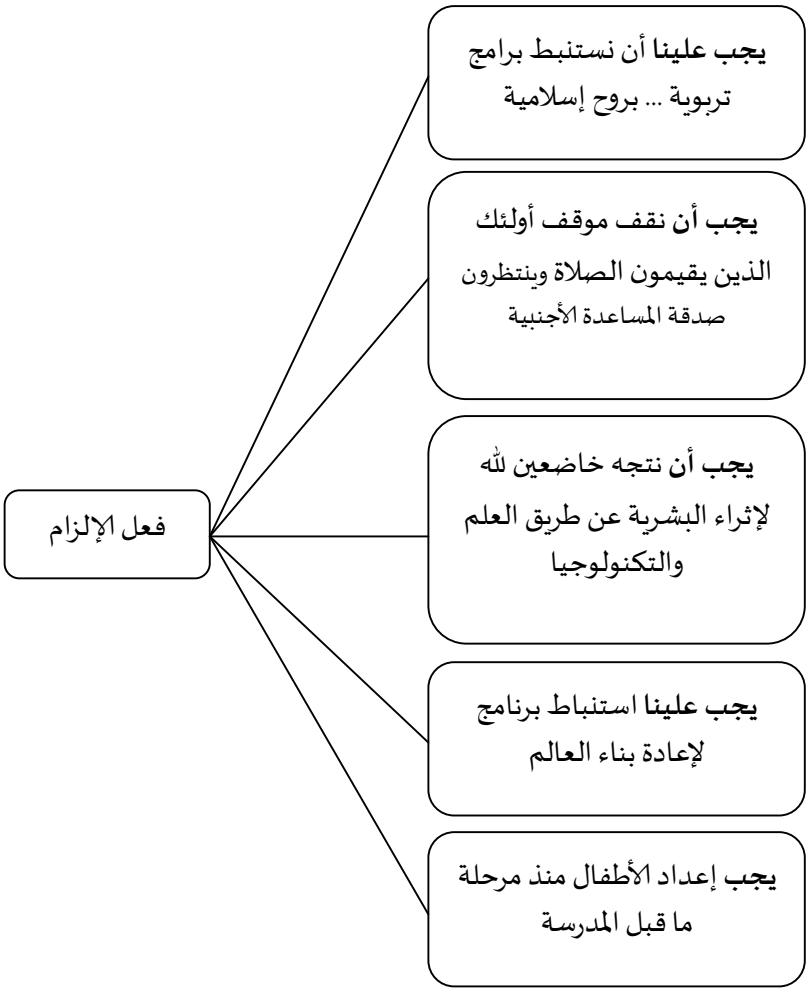

يفهم من المخطط السابق أن الكاتب ألقى على عاتقه وعاتق كل مهتم بوضع برنامج لتربية الأطفال أن يكون البرنامج مشتملا على البنود الآتية:

- **الالتزام الأول**: يبرز مدى اهتمام الكاتب بإعداد برامج تربوية للأطفال تكون مستمدة من القيم الإسلامية والتعاليم الدينية الصحيحة، حتى ينمو الطفل وهو مشبع بعقيدة مبنية على أسس متينة.

- **الالتزام الثاني**: يشدد فيه الكاتب حرصه على نفسه وكل من هو مسؤول على إعداد برامج تربوية للأطفال مستقبلا أن يشتمل هذا البرنامج على مضامين تربي في الطفل حب العمل والإخلاص في تأديته بتفان وأن الالتزام بتعاليم الدين من صلاة وصيام لا يحول دون الكد والاجتهاد، حتى لا ينتظر مساعدة أجنبية من أحد لأن ديننا يحثنا على التوكل لا التواكل .

- **الالتزام الثالث**: يلقي الكاتب على عاتقه وعاتق كل مسؤول على إعداد برامج تربوية موجهة لأطفال المستقبل أن تهدف هذه البرامج لتعليم الطفل العلم النافع الذي يخدم البشرية قاطبة، بحيث لا تكون ثمرته الدمار والخراب الذي شهدته هيروشيما.

- **الالتزام الرابع**: يلزم الكاتب نفسه وكل المختصين في مجال التربية أن يكون البرنامج المهيأ لإعداد أجيال المستقبل يعمل على إعادة بناء عالم خال من الحروب والانقسامات أي عالم تسوده المحبة والتآخي وروح التعاون كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[سورة سبإ: 28] وقوله صلى الله عليه وسلم:« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

- **الالتزام الخامس**: يحمل الكاتب على عاتقه وعلى عاتق كل المهتمين بإعداد برنامج تربوي لأجيال المستقبل أن يتضمن هذا البرنامج محتويات هادفة تتضمن تعليم الطفل في سن مبكر (أي منذ مرحلة ما قبل المدرسة) كيف يواجه تحديات العصر بروح إسلامية.

إذا ما أنعمنا النظر في الطرح السابق نستنتج أن أفعال الإلزاميات أو التعهديات التي اقترحها سورل ضمن تصنيفاته والتي تضمنها النموذج أعلاه تهدف إلى تعهد المتكلم للمستمع لمباشرة مساق الفعل الكلامي الممثل في المحتوى الخبري بفعل شيء ما في المستقبل وشرط الإخلاص فيه هو القصد والنية وهذه الدلالات العميقة قد تجسدت في مضمون هذا الطرح الخطابي حيث لاحظنا أن الكاتب قد ألقى على كاهله وكاهل كل مسؤول تربوي مهتم بإعداد برامج تربوية لأجيال المستقبل أن يضع نصب عينيه أن تتضمن هذه البرامج مبادئ سامية تتمثل في تعليم الأطفال حب التوكل لا التواكل والإخلاص في تأدية الواجبات وتعليم العلم النافع الذي يخدم البشرية فكل هذه العهود أو الإلزاميات جسدها الفعل الكلامي **يجب أن** / أو **يجب علينا** فقد أحالت نون المتكلمين على الكاتب بعده مهتما بعالم الطفل وكل من يدخل في فلكه من مختصين تربويين ومعلمين وعلماء النفس وغيرهم الذين يجب عليهم أن يعتنقوا هذه المبادئ ويلزموا انفسهم بتجسيدها برنامجا عمليا لأجيال المستقبل

كما نلاحظ أن القصد متحقق لأن الكاتب حريص على أن ينمو طفل المستقبل في عالم أفضل تسوده روح المحبة والتآخي ونشر العلم النافع.

وسنحاول تلخيص العناصر التداولية لهذا النموذج من خلال الرسم التالي:

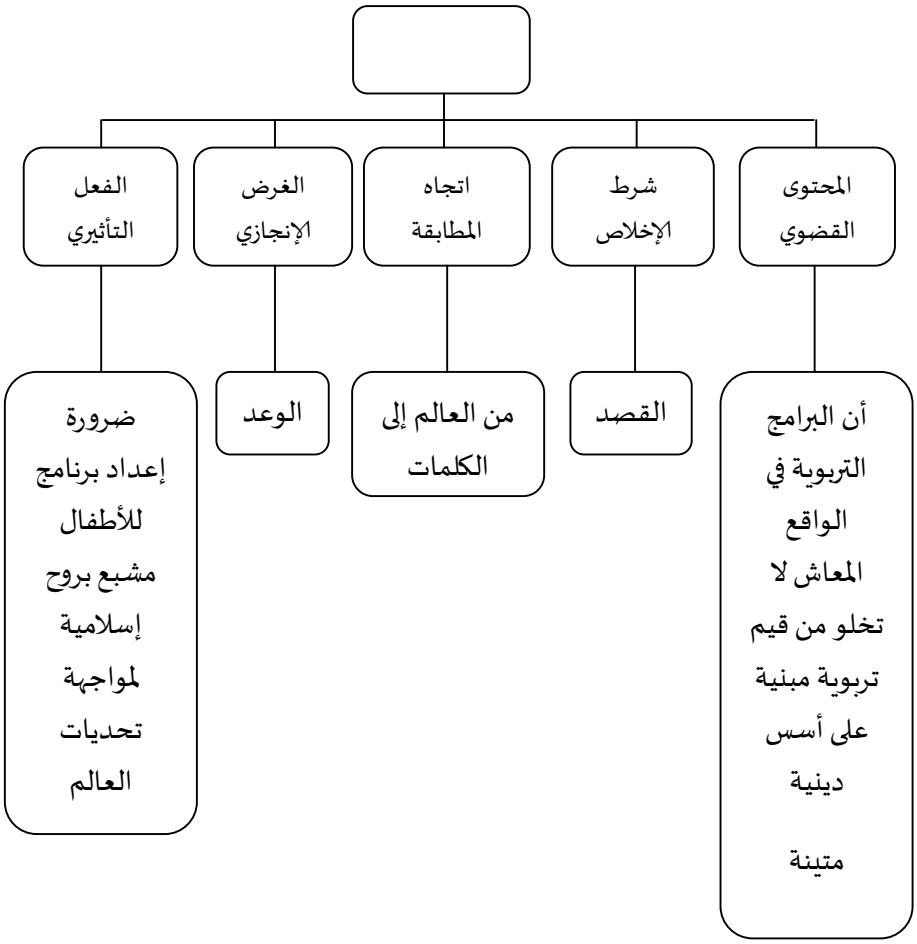

ما يمكن أن نستخلصه من الجدول الموضح أعلاه أن الكاتب قد اعتمد استراتيجية توجيهية في تأدية فعل الإلزام، بحيث استعمل العبارة "يجب عليّ" التي تكررت عدة مرات بلفظ صريح وبصيغة الفعل المضارع، وعليه فيمكن القول "أن الادائيات الصريحة أيسر لأنها تعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه "[23].

2-4- **التعبيريات** Expressives: ومن نماذج هذا الصنف من الأفعال الاعتذارات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات غير أن شرط الصدق في التعبيريات يتغير مع تغير نمط التعبير ويكون الترحيب صادقا، إذا كان المتكلم يشعر بالفرحة والغبطة فعلا تجاه من يرحب به، وليس لهذا الصنف اتجاه يلائمه[24].

ومن نماذج هذا الصنف ما ورد في " كلمة اختتام الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي " وهي بقلم السيد بوعلام باقي عضو اللجنة المركزية ووزير الشؤون الدينية حيث يقول فيها " **باسم الله الرحمان**

الرحيم والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وخاتما للنبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

أيّها الأساتذة الأفاضل ...

أيها السادة والسيدات ... أبناءنا البررة ...

لقد تفضل الأخ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر الشيخ أحمد حماني بتقديم الكلمة الختامية وهي " جامعة جديرة بأن تكون مسك الختام، لكن واجب الاعتراف بالجميل يفرض علي أن أتناول الكلمة مرة ثانية ... على أعمالكم، و أنوه بمجهوداتكم وأن عروضكم القيمة سيكون لها الصدى الحسن والوقع الطيب سواء تلكم التي سلطت الأضواء النيرة على بعض الجوانب من الرسالة الإسلامية الخالدة أو التي أزاحت الستار عن تاريخ هذه المنطقة وغيرها من المناطق التي شملها الفتح الإسلامي ..."[25].

ما نلاحظه من خلال هذا النموذج أن الكاتب ضمن خطابه افعالا تاثيرية تضمنت قوتها الإنجازية التعبيير عن مشاعر الترابط والتاخي والتقدير والاحترام وقد تجسدت هذه الدلالات العميقة في المؤشرات التركيبية الاتية : ايها الاساتذة الافاضل ايها السادة والسيدات ابناءنا البررة ، واستحضار هذه العبارات في مثل هذه السياقات له تاثيره و وقعه في نفوس المتلقين وهذا ما يؤدي الى لفت انتباه السامع ومن ثمة تحصل الفائدة ويتحقق الهدف المنشود.

ومن نماذج التعبيريات في هذا النموذج ايضا توظيف الكاتب لبعض العبارات الدالة على الشكر والمدح وقد اشر لذلك تركيبيا بقوله: انوه بمجهوداتكم ، أن عروضكم الحسنة لها الوقع الطيب والاثر الحسن وهي افعال كلامية تدل على مدى تلطف المتكلم مع المخاطبيين ويعد التداوليون هذا الصنف من الافعال من الاشاريات الاجتماعية :" ...التي تتدرج من الرسمية الى الحميمية."

وبما ان هذا الخطاب يمثل بنية تفاعلية ونشاط تواصلي يتجاذبه طرفان من خلال قناة تواصلية فكان لزاما على المخاطب ان يضمن خطابه بعض عبارات المدح والتلطف لتعبر عن مشاعر الحب والتودد والاحترام ليكون للخطاب وقع وتاثير على السامع وهذا ما يهدف اليه هذا الصنف من التعبيريات .

فالشكر والمدح يعبران عن مواقف نفسية وحالات شعورية، ولذلك نجد هذا النموذج يندرج ضمن صنف التعبيريات، ونلخص مجمل الأفعال الكلامية التي وردت في هذا النموذج من خلال المخطط الآتي:

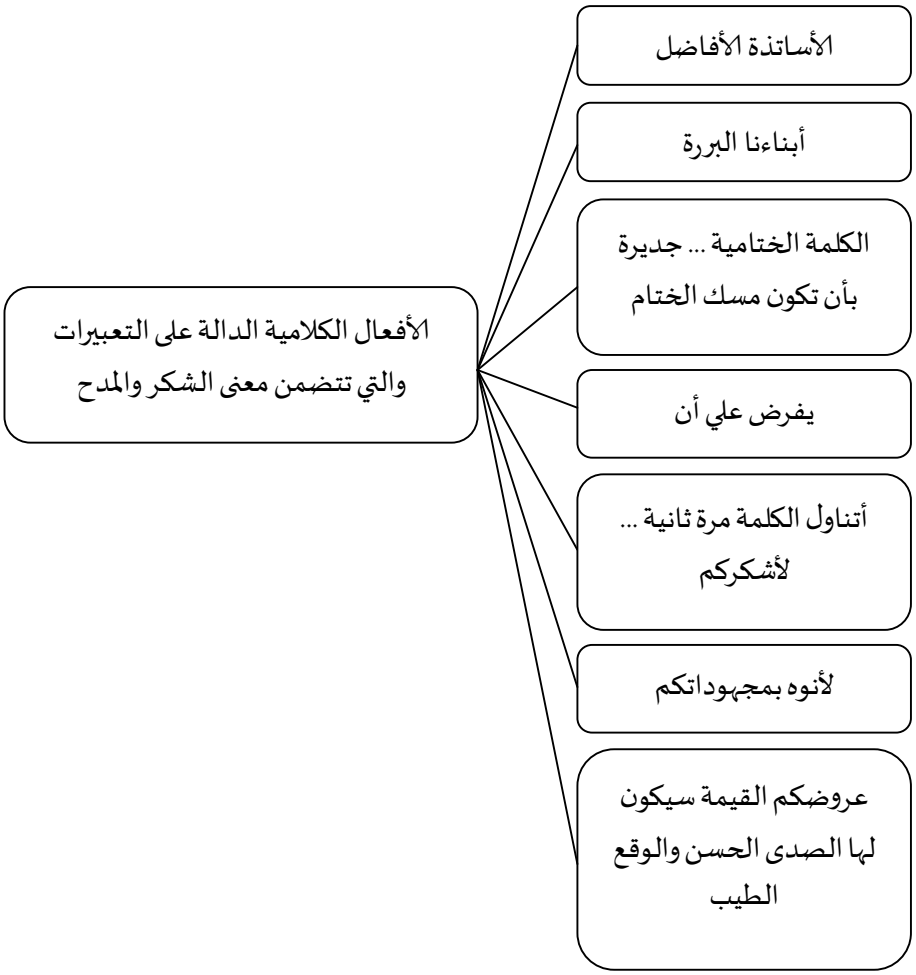

ما نخلص إليه من هذا العرض الموجز أن هذا الصنف من الأفعال الكلامية يخلو من اتجاه مطابقة لأنه يعبر عن محتوى قضوي يكون شرط الإخلاص فيه هو الصدق.

2-5- الإعلانيات Déclaratives: وغرضها الإنجازي "إحداث تغيير في العالم"[26] واتجاه المطابقة يكون مزدوجا من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم ومن الأفعال المعبرة عن هذا الصنف: أعلن – طرد – استقال – عين ... .

ومن نماذج المحاضرات التي تندرج ضمن هذا الصنف نذكر مقتطفا من خاتمة الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي بتمنراست بقلم الأستاذ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى (الجزائر) يقول فيها:" ... **أما بعد ... فها نحن - أولاء - نصل إلى نهاية أعمالنا وباسم الله نعلن ختامنا للملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، كما باسمه تعالى أعلنا ابتداءنا، وقد حققنا به – والحمد لله أولا وأخيرا وظاهرا وباطنا – طي مسافة جديدة نحو غاية من أنبل الغايات نهدف إليها من هذه الملتقيات باجتماع طائفة كبرى من**

صالحي شبابنا وشوَابّنا ... جمعت بينهم المعرفة والبحث عن الحقيقة، والحرص على تنوير الأذهان و إنارة السبيل لأبناء الإنسان ... والاهتمام الخاص بالإسلام ... "[27].

نلاحظ أن الفعل الإنجازي "أعلن" قد ارتبط بأعراف انعقاد الملتقيات والمؤتمرات العلمية في المجتمع العربي بل وكل مجتمعات العالم وذلك في قوله:" **... وباسم الله نعلن ختامنا للملتقى ... كما باسمه تعالى أعلنا ابتدائنا "**، ولكن الخصوصية المميزة للفعل الكلامي في المجتمع العربي أن إعلان افتتاح الملتقى واختتامه مقترنة باسم الله تعالى، وهذه خصوصية تميز المجتمع العربي المسلم عن باقي المجتمعات الأخرى، فالإعلان هنا قد ارتبط بالعرف الاجتماعي ولذلك يرى سورل " أن أداء الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي "[28].

وانطلاقا من العرض السابق نخلص إلى أن الفعل الكلامي الذي سيطر على هذا النموذج هو فعل "الإعلان" وهذا ما يستند عليه مقام التخاطب.

3- الخاتمة:

-كشفت هذه الدراسة أن نظرية أفعال الكلام تشكل النواة الأساسية للدراسة التداولية، حتى أن من الدارسين من يرى أن التداولية مرادفة لنظرية أفعال الكلام.

- سجلنا حضور مختلف أصناف الأفعال الكلامية في أعمال الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي وإن كان ذلك بنسب متفاوتة.

- سجلنا حضورا بارزا **للإخباريات** أو **التقريريات** حيث اتخذها الكاتب وسيلة لوصف وقائع العالم الخارجي، فقد حاول أن يسلط الضوء على ما قدمه المغرب العربي من إسهامات في ما يتعلق بابتكار العلوم وتطويرها حتى لا تبقى المركزية المشرقية هي المهيمنة.

- اشتملت **التوجيهيات** على الاستفهام والترجي والاستعطاف وقد اتخذ الكاتب من هذه الآليات" اللغوية وسيلة للتأثير على الآخرين واستمالتهم وتوجيه سلوكهم من خلال تسليط الضوء على قضية خطيرة قد تفتك ببنية المجتمعات وتتمثل في مشكلة الفوارق الاجتماعية أو الطبقية وتهميش طبقة الفلاحين بالأخص وما ينجر عنها من انعكاسات خطيرة على نفسية الفرد والمجتمع.

- تضمنت **الإلتزاميات** وعودا قطعها الكاتب على نفسه، وعلى كل من هو مهتم ببرامج لإعداد النشء القادم، بأن تكون هذه البرامج التعليمية مستوحاة من القيم السامية لتعاليم ديننا السمح حتى يستطيع طفل المستقبل مواجهة تحديات العصر بروح إسلامية.

- أماطت التعبيريات اللثام عن انفعالات نفسية وحالات شعورية تتضمن قوتها الإنجازية الاعتراف بفضل وجميل كل المحاضرين الذين أسهموا بقدر وافر في إنجاح أعمال هذا الملتقى.

- أما **الإعلانيات**، فتمثل الصنف الأخير والخامس من هذه الأفعال وقد كشفت عن خصوصية مميزة للمجتمع العربي المسلم والمتعلقة بكيفية إعلان الملتقيات وذلك باقترانها دوما بذكر الله عز وجل والثناء على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وهذه خصوصية تميز المجتمع العربي المسلم عن باقي المجتمعات الأخرى، وما يمكن تأكيده في هذا المقام أن الكشف عن الأبعاد التداولية لمحاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي يجعل منها ذات قيمة تداولية، لأن أي نص إذا لم يتداول يبقى حبرا على ورق على حد تعبير محمد مفتاح.

هوامش البحث:

1 - **هربرت بول جرايس**) بالإنجليزية(Paul Grice : (13 مارس 1913 - 28 أغسطس 1988(،[1] ينشر أعماله عادةً باسم **إتش بي جرايس** أو **إتش بول جرايس** أو **بول جرايس**، كان فيلسوف لغة بريطانيًا مثقفًا قضى آخر عشرين سنة من حياته المهنية في الولايات المتحدة.

أثرت مؤلفات جرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي. وتعد نظريته حول الاستلزام من أهم وأكثر المساهمات تأثيرًا في علم التداوليات.

2- **محاضرات ويليام جيمس** هي سلسلة من المحاضرات المدعوة في جامعة هارفارد برعاية أقسام الفلسفة وعلم النفس ، الذين يتناوبون في اختيار المتحدثين. تم إنشاء المسلسل تكريما للفيلسوف البراغماتي الأمريكي وعالم النفس ويليام جيمس ، وهو عضو سابق في هيئة التدريس في تلك المؤسسة. تم منحها من خلال وصية عام 1929 من إدغار بيرس ، خريج جامعة هارفارد ، الذي مول أيضا كرسي إدغار بيرس المرموق في الفلسفة وعلم النفس. اشترط بيرس أن تكون المحاضرات التي يتم تقديمها مفتوحة للجمهور وأن تنشرها لاحقا مطبعة جامعة هارفارد بدأ البرنامج في عام 1930 واستمر حتى الوقت الحاضر. وقد شملت المحاضرين المدعوين بعض المفكرين الأكثر نفوذا في القرن 20، في بعض الحالات، أثار اختيار المحاضر جدلا كبيرا. لا ينبغي الخلط بينه وبين محاضرات ويليام جيمس حول التجربة الدينية ، وهي سلسلة محاضرات مختلفة أجريت في كلية اللاهوت بجامعة هارفارد. William James Lectures - Wikipedia samedi 13 janvier 2024

3- جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتّابي، دار الأمان، الرياض، ط 2010، ص 13.

4- جورن لانجشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008، ص06.

5- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القوي، سوريا، د ط، د ت، ص 60.

6- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2010، ص 32.

*- للتفصيل في هذه التصنيفات انظر: جون لانجشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، ص187-188.

7 - **جون لانجشو «جيه إل» أوستن**) بالإنجليزية(John Langshaw Austin : 26) مارس 8 – 1911 فبراير (1960 كان فيلسوف لغة بريطانياً .ويعرف في الأساس بأنه واضع نظرية أفعال الكلام.[2]

قبل أوستن، كان اهتمام الفلاسفة اللغويين والتحليليين موجهًا بشكل حصري تقريبًا إلى العبارات والتوكيدات والمقترحات . إلى الأفعال اللغوية التي لها قيمة حقيقية (نظريًا على الأقل). أدى هذا إلى مشاكل عند تحليل أنواع معينة من العبارات، على سبيل المثال، في تحديد شروط الحقيقة لتلك العبارات مثل «أعد بفعل كذا وكذا.

8- نعمان بوقرة: اللغة ومنطق الاستعمال في ضوء النظرية التصويرية وأفعال الكلام، مجلة جرش الثقافية العدد 7-8، شتاء 2008، ص 34 - ص35.

9- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، والمركز الثقافي العربي الجزائر، المغرب، ط1، 2006، ص 217.

10- "المالنخوليا " مرض في الجسم تظهر أضراره وعلاماته في النفس، ومن هذه العلامات: شدة الخوف واستمرار الحزن، أنظر: كتاب الأصالة، محاضرات الملتقى الثالث عشر الفكر الإسلامي، الجزء الرابع، تمنراست، يوم 30 أوغسطس، 8 سبتمبر 1979، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص 69.

11- المصدر نفسه، ص 68.

12- حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2003، ص 280.

13- نور الدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي، علم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2012، ص 125.

14- المصدر نفسه، ص 65.

15- جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، ص 218.

16- المصدر نفسه، ص 83.

17- المصدر نفسه، ص 83.

18- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة اغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص 322.

19- المصدر نفسه، ص ن.

20- جون سورل: اللغة والعقل والمجتمع، ص 218.

21- المصدر نفسه، ص 76.

22- المصدر نفسه، ص 80.

23- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، كلية الآداب جامعة الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية،د ط، القاهرة، 2002، ص 67.

24- جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، ص 219 (بتصرف).

25- المصدر نفسه، ص 41.

26- جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، ص 219.

27- المصدر نفسه، ص 1، 2.

28- ينظر نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة هورس الدولية، القاهرة، مصر، ط 1، 2013، ص 58.

قائمة المصادروالمراجع:

1- جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتّابي، دار الأمان، الرياض، ط 2010.
2- جورن لانجشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008.
3- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، والمركز الثقافي العربي الجزائر، المغرب، ط1، 2006، ص 217.
4- حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2003.
5- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة اغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.
6- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القوي، سوريا، د ط، د ت، ص 60.
7- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2010.
8- نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة هورس الدولية، القاهرة، مصر، ط 1، 2013.
9- نعمان بوقرة: اللغة ومنطق الاستعمال في ضوء النظرية التصويرية وأفعال الكلام، مجلة جرش الثقافية العدد 7-8، شتاء 2008.
10- نور الدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي، علم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2012.